معجم الفصيح في العامية المغربية

الأستاذ أنور الجندي

طلعت علينا « دار الارشاد » بمؤلف جديد قيم من انتاج الاستاذ انور الجندي المعروف بضلاعته وعمق بحوثه وهو « مفكرون وادباء » ترجم فيه لتسعةوثلاثين من كبار رجال الفكر في العالم العربي فافرد بحثا للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، ونحن ننشر ما يتصل بالتعريب والمكتب الدائم من هذا البحث شاكرين للاستاذ الكريم مجهوده الفياض للتعريف بمقومات الوحدة الفكرية في العالم العربي ودحض ترهات التغريب والمغربين .

قال حفظه الله :

. عبد العزيز بنعبد الله هو المشرف على مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، وله دراساته اللغوية المتعددة ؛ ولقد كان علي أن اذكر عمله الضخم الذي يقوم به ، وهو معجمه الضخم عن الفصيح في العامية المغربية ، ويحتوي آلاف الالفاظ ذات الاصل العربي ، وقد ارفقه بدراسة مقارنة لتطور استعمال تلك الالفاظ ووجوه اشتقاقها ، مع موازنة ذلك بالتأثيرات اللغوية التركية والفارسية واليونانية واللاتينية والفرنسية والاسبانية . وقد حمل عبد العزيز بنعبد الله منذ وقت بعيد لواء الدعوة الى تفصيح العامية في العالم العربي ، واجرى مقارنات بين عامية المغرب وعامية الشام من ناحية وعامية المغرب وعامية مصر من ناحية اخرى .

وفي دراسة لمنهجه يقول : ان اغلب الاصول والقواعد الاسلامية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية ، حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم والنحت ، وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة تجعلها في بعض الاحايين اكثر ايغالا في القلب والتسهيل

ويقول : يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العاميات العربية وتوحيدها فقد تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى ، وخفت اوجه الخلاف بما استوثق اذ ذاك من صلات في الاسواق الاقليمية والمبادلات التجارية والمصاهرات ، ولقد لعبت دورا هاما في انتقاء اجود اللغات فنسقت واجتنت افضل لغات العرب ، وحاول بعض العلماء تفصيح اللهجات العامية (مثل الاستاذ عبد القادر المغربي) ويرجع عدم نجاحهم الى عدم اتخاذ مسطرة منطقية فعالة جماعية ، مصادق عليها من مجموع الدول العربية ، لمواجهة الفروق المختلفة الناتجة عن تشعب القواعد العامة ، تبعا لاختلاف التأثيرات القبلية العربية او التأثيرات اللغوية الدخيلة .

وللاستاذ بنعبد الله ابحاث مختلفة متعددة ، نشر كثيرا منها في المجلات العلمية المغربية ، وقد ترات اولها في مجلة « رسالة المغرب » (1946) التي كان يراس تحريرها الاستاذعبدالكريم غلاب مديرتحرير جريدة العلم كبرى الصحف المغربية اليوم . وقد كشفت هذه الابحاث عن اتجاه كاتبنا نحو احياء التراث والتحقيق العلمي في مجال الادب والتاريخ معا، في دراسات عن تراث ابن خلدون ، وتراث المغرب الفلسفي ، ومؤرخي الدولة العلوية ، ومراكز المغرب الثقافية ، والمعاهدات بين المغرب واروبا في العصور الوسطى .

واعظم ما لفت نظري دراسته « مظاهر الحضارة المغربية » وهو بحث مطول بدأ في نشره عام 1952 ، ثم اصبح من بعد مؤلفا ضخما من مؤلفاته ، استكمله بدراسة اخرى (معطيات الحضارة المغربية) ، ثم « الفن المغربي في مختلف العصور » ثم

« التيارات الكبرى لحضارة المغرب (بالفرنسية) » واضاف اليه «تاريخ المغرب فى دراسة مقارنة للنصوص العربية والاجنبية » ثم « جغرافية المغرب » ثم «الطب والاطباء بالمغرب » من هذه المجلدات السبع تكونت موسوعة ضخمة ، تعد من المراجع الاساسية للحضارة المغربية ، ولا عجب فالاستاذ عبد العزيز هو استاذ الحضارة والفن بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالاضافة الى ادارة المكتب الدائم للتعريب. فهذا عمل تخصص فيه منذ عشرين عاما ، فاذا عرفنا انه من مواليد عام 1923 ، وانه احرز اللسانس فى الآداب والحقوق عام 1946 ؛ ثم درس العلوم الاسلامية على مجموعة من كبار العلماء بالرباط عجبنا لهذا الذكاء والنبوغ .

ولقد لفت نظري الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله بصورة باهرة ، فى خلال اعداد دراستي عن الفكر والثقافة فى المغرب العربي بأقطاره الاربعة فى فترة الاحتلال الفرنسي لهذه الاقطار حتى عام 1954 تقريبا ، لفت نظري بانتاجه الضخم الواسع المنوع ومنهجه العلمي ، وله الى هذه الموسوعة عن الحضارة المغربية آثار اخرى منها « الفلسفة والاخلاق عند ابن الخطيب » و « الاسلام فى تطور » أو الاسلام فى طريق التقدم كتبه باللغة الفرنسية ، وله بالفرنسية ايضا « الفن المغربي »

ومن هنا كان اهتمامي بكتابه عن تاريخ المغرب فى العصر الحديث والفترة المعاصرة ، الذي تحدث فيه عن تاريخ المغرب منذ قيام الدولة العلوية وتجديد وحدة المغرب الى العصر الحديث ، موليا اهتمامه للعصر الاسماعيلي ثم الاستعمار الفرنسي بالجزائر والمقاومة المغربية المسلحة ، والكفاح السياسي لهذه الحماية ، ودور الملك محمد الخامس والشعب في المقاومة وقد اهتم المؤرخ بحركة الامير عبد الكريم الخطابي فى الريف ؛ ومضى فى دراسته مفصلا تطور الحضارة والفن ؛ وموارد الدولة ، ونظم البلديات والتعليم ، والمحاكم الاهلية . ثم رسم صورة رائعة للمقاومة والمطالبة بالاستقلال وقيام الكتلة الوطنية ملتفة حول الملك محمد الخامس .

ولعل اروع ما فى هذه الدراسة ، ذلك المعجم التاريخي عن اهم الاحداث والاعلام والاماكن ، الذي يبدو جم الفائدة للباحث من خارج نطاق المغرب حيث تبدو بعض الكلمات ولها طابع فريد معين » .

وبعد ما توسع المؤلف الجليل فى ايراد جوانب من المعجم التاريخي الذي ضمه الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى كتاب تاريخ المغرب ، والذي تناول فيه اكثر من ثلاثمائة مادة اكد انه اتى بذلك ليدلل على منهج البحث العلمي، الذي يبرز دائما فى دراسات عبد العزيز بنعبد الله ، مما يدل على تنوع دراساته وتعمقها واشتمالها على ابحاث التراث واللغة والتاريخ والحضارة .